شرح أصول السنة

لإمام أهل السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل

رحمه الله تعالى

١٦٤ - ٢٤١ هـ

لِفَضيلة الشَّيْخِ:

د. سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

٠٠٢٠١٠٣٠٢٦٩١٥٩

المجلس (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

ثم أقول مُرحبًا بالجميع: مرحبًا بوصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

معاشر الفضلاء؛ إن هذه الدورة العلمية المعقودة في مسجد نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يومي الأحد والاثنين بعد العصر من كليهما في أول محرم وثاني محرم معقودة لشرح رسالة عظيمة، تمس إليها حاجة الأمة، ألا وهي (رسالة أصول السنة) للإمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ وسائر علماء المسلمين، وهذه الرسالة وإن كان مؤلفها ومُمليها الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تعالى إلا أن ما فيها هو ما عليه أئمة المسلمين من زمن الصحابة فمن بعدهم رضوان الله عليهم.

وقد منّ الله عَزَّ وَجَلَّ عليّ فشرحت هذه الرسالة سابقًا في غير المدينة، ورغب إليّ أبنائي أن أشرحها في المدينة، فهذا هو الشرح الثاني لهذه الرسالة، وهو شرح مزيدٌ ومحقق ومنقح، ولعل من توفيق الله لنا أن

نجتمع على شرح رسالة (أصول السنة) لإمام أهل السنة في منبع السنة في مسجد النبي الذي أوتي السنة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه الرسالة وسمت بـ(أصول السنة) وأصول السنة أو والأصول جمع أصل، والأصل في اللغة أسفل الشيء يقال: قعدت في أصل الجبل أي في أسفل الجبل، وقعدت عند أصل الشجرة، أي عند أسفل الشجرة.

والأصل في اصطلاح العلماء هو: ما يبني عليه غيره، ما يكون قاعدة ثابتة يبنى عليها غيرها، والمقصود بالسنة هو كل ما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقرير، أو صفٍ خِلقي، أو خُلقي، والمراد بالسنة هنا العقيدة، وما عليه أئمة أهل الإسلام في أصولهم الكلية.

فالمقصود بأصول السنة هنا: قواعد أهل السنة والجماعة التي جاءت بها السنة، ومات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، واتفقت عليها كلمة أهل السنة، وميزتهم عن غيرهم، فمن جمعها فهو من أهل السنة والجماعة، ومن خالف فيها أو في بعضها أو في واحدٍ منها فليس من أهل السنة والجماعة، فلا يصح أن يوصف أحدٌ بأنه من أهل السنة حتى يجمع أصول السنة.

يقول الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللهُ تعالى: ولا يحل لرجل أن يقول: فلانٌ صاحب سنة؛ حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة.

لا يقال له: صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها، أي حتى تجتمع فيه أصول السنة، لا يحل لأحدٍ أن يصف أحدًا من الناس بأنه من أهل السنة أو على السنة بإطلاق حتى يعلم أنه قد جمع أصول السنة التي مات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، واتفقت عليها كلمة أهل السنة.

وهذه الأصول التي بين أيدينا قد أجمع عليها أهل السنة والجماعة، كان عليها صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم علموا وأيقنوا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات عليها، وسار عليها من اتبعهم بإحسان، وكتبها أئمة أهل السنة، كالإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تعالى الذي كتب هذه الأصول بيده، كما جاءت بذلك بعض الأخبار عنه، وأرسلها، وقالها أيضًا في مجالسه، وأملاها على بعض تلاميذه، ونُقلت عنه رَحِمَهُ اللهُ بالأسانيد الصحيحة، فأجمل بها من رسالة يُعنى بحفظها، ويُعنى بالمحافظة على ما فيها، ويُعنى بشرحها، تُقرر وتكرر، ويكرر شرحها، فإن حاجة الناس إليها عبر الأزمان حاجة ماسة، وفي هذا الزمان

تشتد الحاجة إليها، حيثُ كثر المزورون الذين ١١:٥٢ عوام المسلمين، ويقولون: إن ما يذكرونه هو ما كان عليه الأئمة، ومن قبلهم من علماء الأمة، كذبًا، وزورًا، وبهتانًا، ولا يستطيعون أن يقيموا على ذلك دليلاً، لكنهم يروجون ذلك على العامة، فيروج ذلك على العامة الذين يحبون الخير، ولا يعرفون دينهم إلا عن طريق من يظنونهم علماء.

فمن النصح للأمة أن ننشر أصول السنة:

وأن نقرر أصول السنة، وأن نكبر شرحها وبيانها، ولاشك أن هذه الأمة لن تجتمع اجتماعًا حقيقيًا نافعًا إلا إذا حققت أصول السنة، فإن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان كانت كلمتهم متفقة، لا فرقة بينهم، ولا نزاع بينهم، ولا اختلاف إلا فيما يسوغ فيه الاختلاف، حتى نبغ أقوامٌ تركوا أصول السنة، أو بعض أصول السنة؛ فحصلت الفرقة، وحصل التنافر، وحصل التناحر؛ بل حتى وصل الأمر إلى الاعتداء، وإلى أن يقتل بعضهم بعضًا، فبعض المخالفين لأهل السنة في بعض الأزمان طينوا على أهل السنة بيوتهم، أي أغلقوا عليهم الأبواب والنوافذ؛ حتى ماتوا في داخل بيوتهم، واليوم من المخالفين لأهل السنة من يستحل قتل أهل السنة، وهناك شيوخ وطلاب علم في بعض بلدان المسلمين يقتلون، ولا ذنب لهم إلا أنهم متمسكون بالسنة وبأصول السنة، فسبب الفرقة ترك أصول السنة أو ترك بعضها، ومن أراد أن يعيد الأمة إلى الاجتماع فإن عليه أن يسعى جاهدًا إلى إعادة الأمة إلى أصول السنة، وأن يجتمع الناس على أصول السنة.

وأهل السنة يقال لهم: أهل السنة، من أسمائهم أهل السنة، ومن أسمائهم أهل الجماعة، وقد يُجمع الأمران فيقال: أهل السنة والجماعة، وهم سلف الأمة، ومن اتبعهم بإحسان، أي هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن صدق في اتباع صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا أردنا أن نعرف من بعد أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل هم من أهل السنة أم لا؟

فلنعرضهم على ما كان عليه الصحابة، فمن كان على مثل ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فهو من أهل السنة، ومن خالف وانحرف عن طريقهم فهو ليس من أهل السنة.

فأهل السنة يعظمون السنة يقتدون بمن حمل السنة وهم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتبعون من حمل السنة، فأهل السنة إذا ثبتت عندهم السنة عظموها، وأحبوها، واحتجوا بها في كل دينهم،

في الأصول وفي الفروع، في العقيدة وفي الأحكام، لا يفرقون بين أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يدفعون الاحتجاج بسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يقولون: إن بعض سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تدل على اليقين فيحتج بها في العقيدة، وبعضها لا يدل على اليقين ولو كان ثابتًا، فلا يحتج به في العقيدة، حاشا وكلا.

فما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطبنا به، أيليق بالمؤمن أن يخاطبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء ويأبى أن يتبعه؟!!!

لا والله، ما حقق هذا الاتباع إلا أهل السنة، فإذا ثبت عندهم حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتبعوه، ولذلك هم أهل السنة، وغيرهم من الفرق لا يحتجون بكل سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل منهم من يدفع الاحتجاج بالسنة أصلاً، ومنهم من يدفع الاحتجاج بأخبار الآحاد، وأما أهل السنة فلا يفرقون بين أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثابتة، وأهل السنة هم أهل الجماعة؛ لأنهم يجتمعون على الحق ويسيرون عليه، ويتمسكون بما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

سبحان الله!! أهل السنة أهل جماعة، ليسوا أهل فرقة، أهل السنة في جميع البلدان، أهل السنة الصادقون أهل جماعة، كلهم على دينٍ واحد، على أصولٍ واحدة، مهما اختلفت البلدان؛ بل حتى من يقيم منهم في دول الكفر هم أهل جماعة، وأيضًا أهل السنة والجماعة يأمرون بلزوم الجماعة وينهون عن الفرقة، ويجعلون من أصولهم السمع والطاعة في غير معصية الله.

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ كما تعلمون من كبار أئمة أهل السنة؛ حتى أنه عُرف عند العامة والخاصة بإمام أهل السنة والجماعة، لكنه لم يبتدع شيئًا، ولم يحدث شيئًا، وإنما سار على ما كان عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه أئمة أهل السنة بعد صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى زمن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ ونصر ذلك.

وعندما نُكس الناس في الفتنة عن شيء من هذه الأصول عندما حدثت الفتنة الكبرى بالقول بخلق القرآن ثبت الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ حتى انجلت الفتنة، فجعله الله سببًا لبقاء كلام أهل السنة والجماعة، وأصول السنة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ وإن اشتهر بإمامة السنة، والصبر في

المحنة، فليس ذلك لأنه انفرد بقوله، أو ابتدع قولًا؛ بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله علمها، ودعا إليها، وصبر على امتحانه ليفارقها. انتهى قوله رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

ويقول أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى: أحمدُ؛ إنما اشتهر أنه إمام أهل السنة والصابر على المحنة لما ظهرت محن الجهمية الذين ينفون صفات الله تعالى، ويقولون: إن الله لا يُرى في الآخرة، وأن القرآن ليس كلام الله؛ بل هو مخلوق من المخلوقات، وأنه تعالى ليس فوق السماوات، وأن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُعرج به إلى الله، وأصلوا بعض ولاة الأمر.

أضلوا المأمون بن هارون الرشيد:

وقد كان الخلفاء من أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى هارون الرشيد على معتقد أهل السنة والجماعة.

وأول من انحرف عن معتقد أهل السنة والجماعة من الخلفاء هو المأمون:

وسبب انحرافه: أنه أحب علم الكلام والمنطق، فحاد عن الجادة عن طريق أهل السنة والجماعة في الاستدلال، وقرب المعتزلة؛ لأنها كانوا أصحاب أدب وأقاصيص فانحرف.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: وأضلوا بعض ولاة الأمر، طبعًا المأمون، لم يبق طويلاً في الفتنة، لم يبق حيًا طويلاً، وقد امتحن كبار أئمة الحديث في القول بخلق القرآن، فمنهم من أقر، ومنهم من أجاب مكرهًا، ومنهم من ورى كما جاء عن بعضهم أنه كان يقول: القرآن، والتوراة، والإنجيل، كل هذه مخلوقة، ويقصد أصابعه، ليسلم من أذاهم، وثبت نفرٌ يسير أعلاهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، وقد امتحن بالقول بخلق القرآن فأبى إلا ما في الكتاب والسنة وما عليه أهل السنة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فُحمل إلى المأمون، في بعض نواحي البلاد؛ لأنه كان قد ذهب إلى الغزو، فدعا الله ألا يُريه وجه المأمون، فمات في تلك الليلة التي دعاء فيها، في الثلث الأخير من تلك الليلة.

ثم جاء المعتصم:

ولم يُحب أن يخالف ما كان عليه أخوه، مع أنه لم يكن مهتمًا بالعلم بل كان محبًا للغزو، وثبت على الفتنة، لكن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ وعظه فرق قلبه وخاف من الله، لم يرجع عن الفتنة، لكن ترك ابتلاء الناس وامتحان الناس، فهدأت الفتنة إلى أن مات.

ولما مات تولى الواثق الحكم:

وقد تبنى الفتنة وأثارها مرة أخرى، وامتحن الناس امتحانًا عظيمًا، وحُبس الإمام أحمد، وضُرب، وعُذب، ونفعه الله بلص كان معه، لما أخذوه من مجلس المناظرة فقال له: (يا أحمد إنهم يضربونني علىٰ عشرة دراهم سرقتها، فلا أجيبهم، وأنت تُضرب علىٰ الدين، فإياك إياك).

ثم بعد أن مات الواثق تولى المتوكل وكان شابًا:

كان شابًا عمره ستةٌ وعشرون عامًا، وكان محبًا للعلم، محبًا للسنة، محبًا لأهل السنة، وسبحان الله ما أحب أحدٌ أهل السنة إلا استنار قلبه، فأظهر السنة، وأكرم أهل السنة، وفرج الله به عن أهل السنة.

أعود إلى مقال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ؛ قال: فأضل بعض ولاة الأمر، فامتحنوا الناس بالرغبة والرهبة، فمن الناس من أجابهم رغبة، ومن الناس من أجابهم رهبة، ومنهم من اختفى فلم يظهر لهم، وصار من لم يجبهم قطعوا رزقه وعزلوه عن ولايته، وإن كان أسيرًا لم يفكوه، ولم يقبلوا شهادة، وربما قتلوه أو حبسوه، والمحنة مشهورة معروفة، كان في إمارة المأمون والمعتصم والواثق، ثم رفعها المتوكل، هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى، فثبت الله الإمام أحمد، فلم يوافقهم على تعطيل صفات الله تعالى، وناظرهم بالعلم فقطعهم وعذبوه، فصبر على عذابهم، فجعله الله من الأئمة الذين يهدون بأمره، فمن أُعطي الصبر واليقين جعل الله إمامًا في الدين، وما تكلم به من السنة إنما أضيف إليه لكونه أظهره وأبداه، لا لكونه أنشأه وابتداه.

ما أعظم هذه الجملة!! كل أئمة أهل السنة ينطبق عليهم هذا القول، ما أحدثوا شيئًا، قال: (إنما أضيف إليه لكونه أظهره وأبداه، لا لكونه أنشأه وابتداه) وإلا فالسنة سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأصدق الكلام كلام الله، خير الهدي هدي محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ اللهُ تعالى: وما قاله الإمام أحمد هو قول الأئمة قبله، كمالك، والثوري، والأوزاعي، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وهو قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبلهم، وأحاديث السنة معروفة في الصحيحين وغيرهما من كتب الإسلام.

ولا زال الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ بما انتهى إليه من السنة، ومن نصوص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر مما قال غيره، فصار إمامًا للسنة أظهر من غيره. ولا

شك أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أحد أئمة الصدق من المسلمين.

قال عنه الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: هو الإمام حقًا، وشيخ الإسلام صدقًا.

وقال إبراهيم الحربي: رأيت أبا عبد الله كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين.

ومع كثرة ما روى من الأحاديث يقول: ما رويت حديثًا إلا عملت به؛ حتى أني رويت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتجم وأعطى الحجام دينًا فاحتجمت وأعطيت الحجام دينارًا رَحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعة، ما أحوجنا إلى أن نتبصر في سير الأئمة.

اليوم كثر المتكثرون بالعلم، ويا ليتهم يعلمون، يجمعون من الانترنت ومما هو مذكور في المواقع، ثم يتكثرون به، ولا تجد عندهم عقلاً، ولا رفقًا، ولا عفةً في لسان، ولا عملاً بالسنن، هؤلاء ما عرفوا طريق الأئمة، ولذلك أنا دائمًا أوصي نفسي وأخواني الدارسين بالعناية بسير الأئمة، والعمل على الاقتداء بهم.

وأصول السنة عند الصحابة، عند التابعين، عند الأئمة بعدهم، عند شيوخنا الذين أدركانهم: هي أصول السنة، لا جديد فيها ولا تجديد، فأصول السنة التي كانت في صدر الإسلام، وتناقلها الأئمة ثابتة ومعروفة عند أهل السنة والجماعة، فلا جديد فيها، ولا تجديد، والناس فيها إما مؤمنٌ بها، معتدٌ لها، عاملٌ بها، وإما محدثٌ مخالفٌ لها، والتجديد فيها يكون برد الناس إليها إذا ندوا عنها، وبتذكير الناس بها إذا غفلوا عنها، وبحدث الأمة على أن تتمسك بها كما فعل الأئمة المجددون، كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، ما جاؤوا بأصول من عندهم، وإنما جددوا برب الناس إلى ما كان عليه أهل السنة والجماعة، ورد الناس إلى أصول السنة والجماعة، هذا هو التجديد المحمود الذي يقال لصاحبه: مجدد.

أما إحداث أصل أو أصول ما ذكرها أئمة أهل السنة والجماعة في أصولهم أبدًا؛ بل ذكروا ما يُشعر بخلافها، فهذا ليس تجديدًا في الدين، بل هو انحراف عن أصول أهل السنة يجب اجتنابه، لا يجوز تقليد من أحدث أصلاً نسبه إلى السنة لم يُعرف في كُتب أهل السنة عن أصول السنة، والله لا يجوز تقليده، ولا يجوز له أن يبقى على هذا الأصل؛ بل الواجب عليه أن يراجع الحق، فإن الحق قديم.

وأنا أوصي نفسي وأخواني طلاب العلم:

يا طلاب العلم من عرفتموه من أهل السنة؛ ثم أحدث أصلاً أو خالف في أصل فلا تعينوا الشيطان

عليه، وأعينوه بالدعاء له، ادعوا له في سجودكم، ادعوا له في الثلث الأخير من الليل، فإن أهل السنة والجماعة أهل رحمة، ووالله إن عَوْد من ندّ عن السنة في شيء إلى السنة أحبُّ إلينا من الدنيا بأسرها.

ومن نعمة الله على أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أن الأئمة الكبار المتقدمين ومنهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ؛ قد كتبوا أصول السنة، ونصوا على أنها أصول السنة، ونحن في هذه الدورة سنشرح (أصول السنة) التي سطرها الإمام أحمد عَزَّ وَجَلَّ فيتفضل الابن نور الله وفقه الله والسامعين يقرأ لنا.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أُصُول السّنة عندنَا التَّمَسُّك بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَاب رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم والاقتداء بهم.

(الشرح)

هذه الرسالة ثبتت عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ بأسانيد صحيحة، منها الإسناد المذكور في هذه الرسالة، ومنها ما جاء عن الخلال في (كتاب السنة) حيث قال: حدثنا محمد بن سليمان الجوهري، حدثنا حَدثنِي عَبدُوس بن ملك الْعَطَّار. هذا أحد تلاميذ الإمام أحمد، وكان الإمام أحمد يحبه، ويخصه بهدايا حسية ومعنوية.

قال: حَدثنِي عَبدُوس بن ملك الْعَطَّار؛ قَالَ: سَمِعت أَبَا عبد الله أَحْمد بن حَنْبَل رَضِي الله عَنهُ يَقُول أُصُول السّنة. وذكر ما ذكر منها.

وفي طبقات الحنابلة: قال عبدوس بن مالك أبو محمد العطار، ذكره أبو بكر الخلال؛ فقال: كانت له عند أبي عبد الله منزلةٌ، وله به أنسٌ شديد، وكان يُقدمه، وكان له أخبار يطول شرحها، ثم ذكر بإسناده إلى عبدوس هذه الرسالة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: **(أُصُول السّنة عندنَا)** الضمير يرجع إلى من؟ إلى أهل السنة والجماعة المتمسكين بها، ومنهم الإمام أحمد، ومن أدركه الإمام أحمد، ومن أدركه من أدركه الإمام أحمد، وهكذا حتى تصل إلى صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: **(أُصُول السّنة عندنَا التَّمَسُّك بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَاب رَسُول الله صلىٰ الله عَلَيْهِ وَسلم والاقتداء**

بهم) هذا هو الأصل العام عند أهل السنة والجماعة، كل ما عليه أهل السنة والجماعة يعود إلى هذا الأصل، وهو أن رأس أهل السنة والجماعة، ومن حمل السنة والجماعة إلى الأئمة؛ هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ الذين تعلموا ذلك عن رسول الله أو من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتركهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فالمهتدون الفائزون هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن اقتدى بهم واتبعهم بإحسان؛ قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فمن أراد الفوز بالجنة، ومن أراد الفوز العظيم، من أراد الحياة الطيبة فليلزم غرز صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداء بالصحابة فرض لازم على جميع الأمة.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: ثبت وجوب اتباع السلف بالكتاب والسنة والإجماع.

ومن الأدلة العظيمة الدالة على لزوم السنة، وأن لزوم السنة لا يتحقق إلا بلزوم منهج الصحابة، وأنه لا سنة بدون فهم الصحابة رضوان الله عليهم: قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].. الله أكبر.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥]، يعني من يكون في دينه وحاله في شقٍ غير شق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل يكون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شق وهو في شق، يأتيه الحديث الصحيح الثابت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيأباه ويقول: عاداتنا، وأهلها، وموروثنا في بلادنا، وما توافق عليه أهل بلادنا، سبحان الله!! أتأبى أن تكون في شق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!!

قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، أي يتبع غير طريق المؤمنين، ومنهج المؤمنين، والمؤمنون عند نزول الآية هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن لم يجعل شق رسول الله له شقًا، ولم ينهج منهج الصحابة فإنه ضال مضل، يوليه الله عَزَّ وَجَلَّ في الدنيا ما تولى، ويكله إلى هذا الركن الذي يأوي إليه، ولا خير فيه، ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥]، نصليه جهنم يوم القيامة، ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ومفهوم الآية:

من يلزم شق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من يلزم سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينهج منهج الصحابة رضوان الله عليهم نهديه وندخله الجنة، فدل هذا على أن مخالفة سبيل الصحابة ضلال، وسبب للإضلال، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، واتبع طريق من أناب إليّ.

انتبهوا أيها الأخوة:

كل واحد من الأمة لابد له من متبوع يتبعه، والواجب أن يكون متبوع الأمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفهم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الصحابة هم رأس من أناب إلى الله بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليأتين علىٰ أمتي ما أتىٰ علىٰ بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتىٰ إن كان منهم من أتىٰ أمه علانية كان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت علىٰ ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي علىٰ ثلاثٍ وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**»، رواه الترمذي وحسنه الألباني، والحديث ثابت بلا شك، فمن درسه وجمع طرقه علم أنه ثابت.

وانظر رعاك الله: «**ليأتين علىٰ أمتي ما أتىٰ علىٰ بني إسرائيل حذو النعل بالنعل**»، سبحان الله، النعل يطابق النعل، يعني نعل اليمنى يطابق في هيئته وحجمه نعل اليسرى، إلا في جهة الانحراف، وهذا يدل على أن من الأمة من يطابق ما عليه اليهود والنصارى، إلا في خلاف يسير.

ثم انظر كيف أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن افتراق الأمة، وأن الفرق كلها في النار أي تستحق دخول النار، إلا واحدة، من هي؟ ما عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

وانظر رعاك الله كيف قرن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما هو عليه بما عليه صحابته رضوان الله عليهم!! ليعلم المؤمن أنه لن يصل إلى السنة إلا من طريق الصحابة رضوان الله عليهم، ومن تغيَّا أن يصل إلى السنة وتجاهل صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلن يصل إليها أبدًا، فإن كل طريق إلى السنة مسدود إلا من طريق صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتأكد وجوب التمسك بما عليه الصحابة عند وجود الفرقة، وعند وجود الفتن، واشتدادها كما في الحديث المتقدم، وفي قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: «أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني.

انظروا كيف بيّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المتعين عند حصول الخلاف واشتداده أن نتمسك بسنته وسنة صحابته رضوان الله عليهم، معلمًا إيانا أنه لا نجاة من الفتن ومن الاختلاف الضار إلا بالتمسك بسنته، ولا تُدرك سنته علمًا وفهمًا إلا من طريق صحابته رضوان الله عليهم، وإلا فالمعلوم أن الصحابة يقتدون بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لكن قال: وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، لنعلم أنا لن نعلم السنة، ولن نطبق السنة إلا إذا أخذنا بسنة الصحابة، وفهم الصحابة رضوان الله عليهم.

وقد أجمع علماء أهل السنة؛ بل أجمع أهل السنة على هذا الأصل العظيم، وأهل البدع جميعًا يخالفون هذا الأصل، يخالفون ما كان عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلاً أو بعضًا، ولذلك ذكرنا مرارًا وتكرارًا أن أهل السنة يصلون بما هم عليه إلى رسل الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بسلسلة من نور قوية لا يمكن نقضها، تصدق ما هم عليه.

أما أهل الفرق جميعًا فلابد من أن ينقطعوا دون صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يمكن لفرقة أن تنتسب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل ينتسبون إلى رجل دون ذلك، الأشاعرة ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، وأبو الحسن الأشعري قد ترك ما هم عليه، ورجع إلى ما عليه الإمام أحمد أي أهل السنة.

الماتريدية ينتسبون إلى أبي منصور الماتريدي هذا الرأس الذي يصلون إليه، ما يستطيعون أن يصلوا إلى صحابة رسول الله؛ لأن الذي عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو السنة، ولو وصلوا إلى نور السنة لظهرت ظلمة البدعة، وتيقن الناس أن ما عليه هؤلاء المبتدعة لا خير فيه.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَترك الْبدع وكل بِدعَة فَهِيَ ضَلَالَة.

(الشرح)

التمسك بالسنة قرينه الملازمة ترك البدع، فمن زعم أنه يتمسك بالسنة وهو يخوض في البدع فهو كاذب في تمسكه بالسنة، فهما قرينان متلازمان، فمن أصول أهل السنة (ترك البدع).

والبدعة في اللغة: هي الشيء الجديد على غير مثال سابق.

والبدعة في الشرع عرفها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا يدلك على أهمية معرفة البدعة، وعظم شأن معرفة البدع، عرفها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يكلها إلى أحدٍ من الناس، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كل محدثة بدعة**»، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإياكم ومحدثات الأمور**»، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

إذًا البدعة: هي التقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أو التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ بما لم يكن عليه أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلاً أو وصفًا، التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ بما لم يكن عليه أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلاً أو وصفًا.

وإن شئت قل: البدعة كل أمر محدثٍ في الدين أصلاً أو وصفًا، فإذا أحدث محدث حدثًا أو عمل بمحدث في الدين لم يأت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصله أصلاً، فقد ابتدع.

ومثال ذلك: المولد، المولد للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المولد للأئمة، المولد لكذا، هذا أمرٌ محدثٌ بأصله، ما جاء في الكتاب ولا في السنة، ولا عرفه الصحابة رضوان الله عليهم، ما عرفوا المولد أصلاً، ولا عرفه التابعون، ولا عرفه الأئمة الأربعة، ولن تجد له ذكرًا عندهم، وإنما أحدثه الفاطميون الروافض في مصر في القرن الرابع بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة، ونحن نتحدى كل من يقول بالمولد أن يأتينا بذكر للمولد في كتاب من كتب الأئمة المتقدمين، في أي شأن، ليس في العقيدة فقط.

فالمولد محدث بأصله، وكذلك ما يُحدث في وصفه بأن يكون أصله مشروعًا لكن المتعبد يضيفه إلى وصفٍ من زمنٍ أو مكانٍ أو هيئةٍ أو جنسٍ أو عددٍ لم يرد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كأن يقول قائل: أنا سأقول في كل يوم لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، مائة مرة، فنقول: ما شاء الله أصبت السنة هذه ثابتة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراب في إترابهم، وما أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم.

فيا أيها السني:

لا يوحشنك قلة الرفيق، فإن من شأن أهل الحق القلة بالنسبة لجموع الناس، وتمسك بالسنة، واثبت عليها، ولاشك أن من تمسك بالسنة حقق إيمانه، وصدق في اتباعه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد اتهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيانة شاء أم أبى.

قال ابن الماجشون رَحِمَهُ اللهُ: سمعت الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذٍ دينًا فلا يكون اليوم دينًا.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَتَرَكَ الْخُصُومَاتِ وَالْجُلُوسِ مَعَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ.

(الشرح)

هذا أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وستجدون أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يكرره في مواضع من باب التأكيد عليه؛ لأنه أصل عظيم كبير عند أهل السنة والجماعة، ترك الجدل والخصومات في الدين مع أهل الأهواء والبدع.

فأهل البدع لا يخاصمون، وإنما يُعرض عليهم الحق، ويُكتفى بذلك، فالذي عليه أهل السنة والجماعة حقٌ بيّن لاشك فيه ولا ارتياب، والدين ليس بالمخاصمة والمغالبة، هذا يغلب فنتبعه، وهذا يغلب فنتبعه، وإنما الدين مبنيٌ على النقل.

وقد روى اللالكائي عن الإمام عبد الرزاق رَحِمَهُ اللهُ؛ قال: قال لي إبراهيم بن أبي يحيى: إني أرى المعتزلة عندكم كثيرًا، قلت: نعم، وهم يزعمون أنك منهم، عبد الرزاق يقول له، نعم المعتزلة عندنا كثير، وهم

يزعمون أنك منهم، قال لي: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك؟ قال: قلت: لا، قال: لِمَ؟ كما يقولون: خواف؟ لماذا تخاف مني؟ قال: قلت: لأن القلب ضعيف وإن الدين ليس لمن غلب.

أنا لست في شك من ديني وأعرف الدين، والقلب ضعيف، وأهل البدع أهل لسان، فقد تلقي كلمة تضر قلبي، وليس الدين لمن غلب، والجدل مع أهل الأهواء لا خير فيه، ولا يجلب خيرًا، وقد يوصل إلى قلب من يجادلهم أو من يسمع الجدال معهم فتنتهم.

وقد روى ابن بطة عن أيوب السختياني قال: قال لي أبو قلابة: (يا أيوب احفظ عني أربعًا: لا تقل في القرآن برأيك، وإياك والقدر) أي التعمق في القدر (وإذا ذُكر أصحاب محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمسك ولا تُمكن أصحاب الأهواء من سمعك فينبذوا فيها ما شاءوا).

وقال الحافظ ابن عبد البر عن السلف: ونهوا عن الجدال في الاعتقاد لأنه يؤول إلى الانسلاخ من الدين.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضع لنا قاعدة في ترك المراء، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا**»، رواه أبو داود وحسنه الألباني.

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ: اتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: واعلم رحمك الله أن الخصومة في الدين ليست من طريق أهل السنة.

وقال ابن أبي زيد القيرواني في الرسالة في منهج أهل السنة: وترك المراء والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون.

العجيب أني مرة سمعت لأحد الرؤوس من أهل البدع ممن يزعم أنه مالكي، يذكر هذا النص عن ابن أبي زيد، ويقول فيه: وترك المراء والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون، فنحن ما نخاصم في ديننا ولا نلتفت إلى هؤلاء الذين يقولون: إنهم أهل الحديث، وهذا كثير سبحان الله في هؤلاء المخالفين للسنة وأهل السنة.

وقال محمد بن حسين بن علي: الخصومة تمحق الدين وتنبت الشحناء في صدور الرجال.

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ تعالى: المراء في الدين يقسي القلب، ويورث النفاق.

وأهل الأهواء يا أخون كما قلنا يُعرض عليهم الحق ما يتركون؛ بل يُعرض عليهم الحق، وتقام عليهم

الحجة من قادر على إقامتها، ولا يخاصمون في استدلالاتهم لأن مخاصمتهم لا تفيد شيئًا بل تضر.

وقد قال بعض مشايخنا: اسحبهم إلى طريقك ولا تنزل إلى طريقهم، اسحبهم إلى طريقك لأنك في علو وهم في سفل، فاسحبهم إلى طريقك بعرض السنة، والتمسك بالسنة، ولا تنزل إلى طريقهم فتخاصمهم بنفس طريقتهم، فإنهم لا ينتفعون بذلك شيئًا وقد يحسنونه أكثر منك، وقد تُسبب مخاصمتهم بطريقتهم الفتنة لبعض الناس، فقد يلبسون على من يخاصمهم، وقد يلبسون على من يسمع الخصومة معهم.

ولهذا قال أبو قلابة: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالهم، أو يُلبسوا عليكم ما تعرفون، وكم مرة ذكرنا يا أخوة أنه في التاريخ والواقع هناك من اغتر بنفسه، فاقترب من أهل البدع، وصار يسمع كلامهم بطريقتهم، وقد يجادلهم ويخاصمهم، فلبسوا عليه، ووقعوا في بعض ما هم عليه.

وذكرت لكم مرارًا يا أخون: أن هناك طالبًا من طلابي في كلية الشريعة، قبل ما يقرب من أربعٍ وثلاثين سنة كان متشددًا جدًا في السنة؛ بل كان يتجاوز في المعاملة، فكنا نحاول أن نهذبه، ثم لما تخرج من الجامعة التحق بجامعة فيها رأس من رؤوس الحزبيين، فقال لي: أنا سأناظره، سأذهب عنده في المكتب وأناظره على تعبير العوام أكسر رأسه؛ فقلت له: لا تذهب إليه، فإني لا آمن عليك الفتنة، لكنه ما يطع وصار يتردد عليه في مكتبه؛ حتى صار من ألين الناس مع الحزبيين وأهل الأهواء.

قال النخعي: لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تكلموهم فإني أخاف أن ترتد قلوبكم - أن ترتد قلوبكم يعني عن السنة- وأن تقعوا في البدعة.

وجاء عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: أن رجلاً من أهل الأهواء أتاه؛ فقال: يا أبا سعيد إني أريد أن أخاصمك، إني أريد أن أجادلك، فقال له الحسن البصري: إليك عني، فإني قد عرفت ديني، وإنما يخاصمك الشاك في دينه.

وقيل للحسن بن عتيبة: ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟ قال: الخصومات.

وقال الفضيل بن عياض: لا تجادلوا أهل الخصومات؛ فإنهم يخوضون في آيات الله.

وجاء في طبقات الحنابلة أن الإمام سُئل: يا أبا عبد الله أكون في مجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري، فيتكلم مبتدع فيه، أأرد عليه؟ يعني قد أفاجأ بأن أكون في مجلس ما فيه من يعرف السنة إلا أنا، وقد أضطر

إلى هذا، أحيانًا مثلاً يُعقد اجتماع للأئمة، يعقد اجتماع للمدرسين، فما يوجد منهم إلا رجل واحد من أهل السنة، فيتكلم واحد من أهل البدعة بالبدع والأهواء مثلاً والحزبيات.

فقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تعالى: لا تنصب نفسك لهذا، أخبره بالسنة ولا تخاصم. لا تدخل معه في بدعته والجدال في بدعته، أخبره بالسنة القاسمة لبدعته، ولا تخاصمه.

إذًا معنى ترك المخاصمة ألا نخاصمهم بطريقتهم، وألا ندخل معهم في جدال بطريقتهم، وإنما نبين السنة ودليلها ووجهها ونسكت.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَترك الْخُصُومَات فِي الدّين، وَتَرك الْمِرَاء وَالْجِدَال، وَالسَّنَةُ عِنْدَنَا آثَار رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

الشيخ: ما في عندك والجلوس مع أصحاب الأهواء؟

الطالب: لا، الجملة قال: (وَترك الْخُصُومَات فِي الدّين، وَتَرك الْمِرَاء وَالْجِدَال).

الشيخ: ترك الجلوس مع أصحاب الأهواء من أهل البدع، فإن من يجالس المبتدع لا يسلم غالبًا، إن نجا دينه لم يسلم قلبه من الألفة، وإن نجا دينه وسلم؛ وسلم قلبه من الألفة لم يسلم ٠١:٢١:٢٦ ولابد.

قال سفيان الثوري: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره.

نعم لو كان يجالس أهل الأهواء ويمازحهم ويضاحكهم ويدخل ويخرج عليهم، وهو رجل صالح معروف عند الناس سيفتنون به ويجالسون أهل الأهواء، ويقولون: لو كان فيهم شيء ما صاحبهم فلان.

قال: وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار، وإما أن يقول: والله ما أبالي ما تكلموا به، وإني واثق بنفسي، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه.

إياك أن تغتر؛ بل كن حذرًا، أغلى ما عندك دينك، إن شئت أن تعلب فلعب بكل شيء إلا دينك، لا تجعله عرضة، حافظ عليه أعظم من محافظتك على عينيك، إياك أن تقول: أنا بحمد الله منذ الصغر وأنا مع أهل السنة، وأن اليوم في الأربعين، كما يقول بعضهم: قد عجلت بالسنة، وتذهب وتجلس مع أهل البدع، والله ما تأمن ٠١:٢٣:٤٠ وما تأمن أن يقع لك شيء ممن ذكرناه.

قال إسماعيل الطوسي: إياك أن تجلس مع صاحب بدعة.

وقال الإمام أحمد: أهل البدع لا ينبغي لأحد أن يجالسهم وأن يخالطهم وأن يأنس بهم.

سبحان الله!! كيف تأنس بأهل البدع وهم مجافون للسنة؟!! إن كنت صادقًا تحمل السنة صدقًا فإنك لن تأنس بأصحاب الأهواء.

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم.

وقيل للأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: إن رجلاً يقول: أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدعة، أنا ما أفرق بين الناس والناس فيهم خير، أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدعة؛ فقال: هذا يريد أن يساوي بين الحق والباطل، السنة حق والباطل، فكيف يساوي بين أهل الحق وأهل الباطل؟ ومجالسة أهل السوء لا تجلب خيرًا، وشر أهل السوء أهل الأهواء، وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك**»، يعني خير «**إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحًا خبيثة**»، متفق عليه.

قال العلماء: المعنى أن الجليس الصالح إما أن يهديك خيرًا، يدلك على سنة، أو يدلك على طاعة، وإما أن تسأله فيجيبك بخير، وإما أن يحصل من مجالستك له سمعة حسنة، وأما الجليس السوء فإما أن يعطيك سوءًا، وإما أن تكتسب منه سمعة سيئة، وكلام السلف في هذا طويل.

لكن لكثرة الخوض فيه، وإدخال ما ليس منه فيه، أنبه إلى أن الرجل من أهل السنة قد يجالس أهل البدعة غير عالمٍ أنهم أهل بدع.

يا أخوة: لو أن مدرسًا عُين في مدرسة، جديد في منطقة ما يعرفها، وجلس مع المدرسين يضاحكهم ويمازحهم وهم أهل بدع وهو لا يعرف أنهم أهل بدع، أو لو أن رجلاً زار بلدًا في مهمة أو نحو ذلك، وجلس مع ناس مع يعلم أنهم أهل بدع، فإنه لا يعاب بذلك، ولا يقال عند أهل السنة والجماعة: إنه يجالس أهل البدع، لكن يُنصح ويُعلم ويُنبه أن هؤلاء أصحاب بدع، فحقه على أخوانه أن يعرفوه وأن يحذروه، أما أن يطيروا بهذا وينشروه فهذا من فساد القلوب، وليس من النصح.

قال البربهاري: إذا رأيت الرجل يجلس مع رجلٍ من أهل الأهواء فحذره وعرفه، فإن جلس معه بعدما علم فاتقه؛ فإنه صاحب هوى.

كذلك عند أهل العلم لا يدخل في ذلك الجلوس مع أهل البدع بغير اختيار، وأضرب لكم مثالًا يعرفه الطلاب، قاعدة الدرس تجمع طلابًا على السنة، وطلابًا من أهل الأهواء من أهل الحزبيات، يجلسون مع بعضهم في القاعة؛ لأن القاعة ليست بالاختيار، فلا يُعاب الطالب أنه يجالس أهل الأهواء والبدع في قاعدة الدرس، كذلك قد يجلس عالم من علماء السنة بجوار عالم من علماء أهل البدع في مناقشة علمية لرسالة مثلاً، هو يدرس في جامعة وكُلف لمناقشة رسالة، وكلف الآخر من أساتذة الكلية وهو من رؤوس أهل الأهواء، هذا جلوس بغير اختيار، وبعض الناس يصور وينشر، الشيخ فلان يجالس رؤوس أهل البدع، هذا ليس من طريق أهل السنة والجماعة، ما دام أنه جالسهم بغير اختيار.

وانظروا يا أخوة الذي سأل الإمام أحمد أنه يكون في مجلس ليس فيه أحد يعرف السنة، فيتكلم مبتدع أيرد عليه؟ ما قال له الإمام أحمد: ما الذي أجلسك بينهم؟لأنه ظاهر من السؤال أنه يكون مضطرًا إلى هذا.

كذلك لا يدخل في هذا إذا اقتضت نصرة الحق أو أهل الحق الجلوس مع أهل البدع لإسماعهم الحق، قد يقتضي نصر الحق أو نصر أهل الحق الجلوس مع أهل الأهواء، فهذا مقام ضرورة والضرورة تقدر بقدرها، لا يكون ذلك ديدنًا، ومن ذلك أن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ذهب إلى الخوارج، وقد خرجوا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهم كلاب أهل النار، لماذا ذهب إليهم؟ لعله يكفي المسلمين شر قتالهم، لينصر الحق وأهل الحق، فذهب إليهم وعرض عليهم الحق فرجع ثلثان منهم وبقي ثلث.

إذًا يا أخوة هذا فقه يجب إدراكه، ونحن في زمن كثر فيه الخلط، فمن جانب تجب التساهل من بعض الناس، ومن جانب تجد من يُدخل في الأصل ما ليس منه، من الناس من يضع التمر مكان الجمر، وهذا خطأ عظيم.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَتَرك الْمِرَاء وَالْجِدَالَ.

(الشرح)

هذا قدمنا الكلام عنه عند الكلام عن ترك الخصومات.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَالسَّنَةُ عِنْدَنَا آثَار رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

أنتم تقولون: أصول السنة، فما هي السنة؟ قال: (وَالسَّنَةُ عِنْدَنَا) أي أهل السنة جميعًا هي آثار رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالسنة التي يجب لزومها استدلالًا واعتقادًا وعملاً واتباعًا هي كل ما ثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعلٍ أو تقرير.

وكما قدمت سابقًا: العبرة عند أهل السنة والجماعة بالثبوت، فإذا ثبت الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ به أهل السنة كأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شافههم به، بخلاف أهل البدع، فإنهم يردون من السنة ما يردون.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَالسّنة تفسر الْقُرْآن وَهِي دَلَائِل الْقُرْآن.

(الشرح)

السنة شارحة للقرآن وموضحة لما في القرآن، والذي عليه أهل السنة والجماعة أن القرآن يُفسر بالقرآن، ويُفسر بالسنة، ويُفسر بآثار الصحابة، فإن عُدم ذلك يُفسر باللغة العربية.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: واعلم رحمك الله أن الخصومة في الدين ليست من طريق أهل السنة، وأن تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معناه أو معنى ما أراد عَزَّ وَجَلَّ أو أثرٍ عن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُعرف ذلك بما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أصحابه، فهم شاهدوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهدوا تنزيله وما قصه له القرآن وما عُني به، وإلى أُريد به، أهو خاص أم عام؟ فأما من تأوله على ظاهرٍ بلا دلالة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أحدٍ من أصحابه فهذا تأويل أهل البدع.

يعني الذي يأخذ بظاهر الآية ويفسرها هكذا دون الرجوع إلى القرآن، أو دون الرجوع إلى السنة، أو دون الرجوع إلى ما أُثر عن الصحابة فلا يرجع إلى هذا أصلاً، فإن هذا ليس من طريقة أهل السنة والجماعة؛ بل هذا من طريقة أهل البدع.

ولذلك يا أخوة: أهل البدع قد يحملون النص على ظاهره، وتكون الآيات أو الأحاديث أو الآثار دلت على أنه على خلاف ظاهره، وقد يحملون النص على غير ظاهره بلا دليل.

إذًا ما هو تأويل أهل البدع؟

تأويل أهل البدع له صورتان أو وجهان:

الصورة الأولى: تأويل النص على ظاهره بدون عودٍ إلى القرآن والسنة وآثار الصحابة، فيؤولونها ابتداءً،

وقد يكون في القرآن والسنة وآثار الصحابة ما دل على خلاف ما فسروه.

الصورة الثانية: صرف اللفظ عن ظاهره إلى غير ظاهره إلى المحتمل المرجوح بغير دليل.

إذًا يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: فهذا تأويل أهل البدع؛ لأن الآية قد تكون خاصة، ويكون حكمها حكمًا عامًا، وقد يكون ظاهرها على العموم، وإنما قُصدت لشيء بعينه. يعني يكون ظاهرها العموم وهي خاصة. ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُعبر عن كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وما أراد، وأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أعلم بذلك منا، لمشاهدتهم الأمر وما أريد بذلك.

هذا باب عظيم يا أخوة، إياك أن تفسر نصًا ولاسيما ما يتعلق بالعقيدة على ما تفهم أنت فتقول برأيك؛ بل ارجع إلى القرآن فقد تجد تفسير النص، وكما قلنا مرارًا النصوص يُجمع بعضها إلى بعض، ثم ارجع إلى السنة فقد تجد تفسير ذلك، ثم ارجع إلى الصحابة فقد تجد تفسير ذلك، ثم ماذا؟ ارجع إلى كلام أئمة أهل السنة؛ فإنهم فسروا النصوص بما يكفي ويشفي، والزم هذا، هذا مراد الإمام أحمد بهذا الأصل، فالسنة تفسر القرآن، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبين للقرآن.

وموضح للقرآن، السنة يا أخوة لها طرفان:

١. طرف يخدم القرآن فيفسر القرآن ويوضح القرآن، ويبين المراد بما في القرآن.

٢. وطرف ينفرد ويأتي بأحكام، وعقيدة.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانًا علىٰ أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**»، رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.

إذًا الناس طرفان:

١. طرفٌ يتمسك بما في السنة ويعلم أن السنة من الله مثل القرآن، فإذا ثبتت السنة أخذ بها.

٢. وطرفٌ لا يجعل للسنة مقامًا ويقول: حسبنا القرآن، نرجع إلى القرآن، ولو رجع إلى القرآن صادقًا

لأخذ بسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَلَيْسَ فِي السّنة قِيَاس وَلَا تضرب لَهَا الْأَمْثَال.

(الشرح)

انتبهوا إلى هذه الجملة عظيمة جدًا، وعدم العمل بها سبب لانحراف أقوام وأقوال، السنة عند أهل السنة والجماعة لا تُقابل بالقياس والمعقول، فإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، فلا تقابل السنة بالرأي، ولا تُقابل السنة بالقياس، ولا تُرد بالعقول، ولا تُضرب لها الأمثال، فإذا ثبتت السنة ولم يكن لها معارض مثلها أو أعلى منها فإن الواجب أن يؤمن العبد بها، وألا يردها بالقياس.

وأضرب مثالًا: حدث أحد المحدثين بحديث احتجاج موسى وآدم عليهما السلام، فقال أحد الجالسين: كيف وبين آدم وموسى زمنٌ طويل؟ فزجره الخليفة الذي كان يُحدث في مجلسه وقال: يُحدثك بحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: كيف؟!!

من المرض العظيم أن يقول الإنسان في حديث ثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عقلي لا يصدق هذا، عقلي لا يقبل هذا، نعم والله، ربما كان عقلك قاصرًا أو كان قلبك مريضًا، فحجزك قصور عقلك أو مرض قلبك عن تصديق الحديث، وعن قبول الحديث، فالعبد يعلم أن الكتاب والسنة نورٌ تُدفع بها كل ظلمة، فإذا كان في عقلك ظلمة أو في قلبك ظلمة فأنر عقلك وقلبك بنور الكتاب والسنة، ولا تدفع الكتاب والسنة.

فبعض الناس يقول: نعم هذا الحديث صحيح وفي الصحيحين، لكن عقلي لا يقبله؛ لأنه كذا وكذا، ويأتي بقواعد من رأسه، هذا مرض، وهذا ليس على طريق أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: قول الإمام أحمد في أول رسالته في السنة. يعني هذه الرسالة التي نقرأها. ليس في السنة قياس ولا يُضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول، فبين أن ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يجوز أن يُعارض بضرب الأمثال له، ولا يُدركه كل أحد بقياس، ولا يحتاج أن يثبته بقياس؛ بل هو ثابت بنفسه، وليس كل ما ثبت يكون له نظير حتى تُضرب له الأمثال، فلا يحتاج المنصوص خبرًا وأمرًا إلى قياس.

طريقة أهل السنة والجماعة أن العبر بالثبوت كما قلنا، فإذا ثبتت السنة انقادت لها القلوب، وانقادت لها العقول، ولا يُرد صحيح السنة بمرض في القلب أو قصور في العقل، وإنما يعالج القلب بصحيح السنة، ويُنارُ العقل بصحيح السنة.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَلَا تدْرك بالعقول وَلَا الْأَهْوَاء إِنَّمَا هُوَ الإتباع وَترك الْهوى.

(الشرح)

السنة يا أخوة وحيٌ من الله، والوحي من الله إنما يُدرك بالتلقي، السنة أعلى من هذه الطرق أعني العقول والأهواء، والعقل قد لا يُدرك نورًا قبل أن تأتي به السنة، فإذا جاءت به السنة استنار العقل وأدرك هذا النور، ولذلك أهل السنة والجماعة يقولون: السنة تُنير العقل وتصلحه، وأهل الأهواء يحكمون العقول في سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: قال الإمام أحمد في رسالته في السنة: ليست في السنة قياس، ولا يُضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول، هذا قوله، وقول سائر أئمة المسلمين؛ فإنهم متفقون على أن ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تدركه الناس بعقولهم، ولو أدركوه بعقولهم لاستغنوا عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

العقول موجودة قبل الرسول، فلو كان الناس يدركون الحق بعقولهم المجردة لما كان لبعثة الرسل فائدة.

قال: ولا يجوز أن يعارض بالأمثال المضروبة له، فلا يجوز أن يعارضه الناس بعقولهم، ولا يدركونه بعقولهم، فمن قال للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا أصدقك إذا لم تخالف عقلي. انظروا هذه الجملة كيف هي قبيحة؟ لو أن رجلاً قابل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: أنا أصدقك إذا لم تخالف عقلي، ما أقبح هذه الجملة، فالذي يضاد السنة بهذا كالذي يقول للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا.

قال: فمن قال للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا أصدقك إذا لم تخالف عقلي، أو أنت صادق فيما لم تخالف فيه الدليل العقلي، لم يكن مؤمنًا به، وإن قدم على كلامه دليلاً عقليًا ليس بصحيح لم يكن مؤمنًا به.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَمن السّنة اللَّازِمَة الَّتِي من ترك مِنْهَا خصْلَة لم يقبلهَا ويؤمن بهَا لم يكن من أَهلهَا، الْإِيمَان بِالْقدرِ خَيره وشره والتصديق بالأحاديث فِيهِ وَالْإِيمَان بهَا لَا يُقَال لم وَلَا كَيفَ إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيق وَالْإِيمَان بهَا.

(الشرح)

لما تقدم وجوب لزوم السنة ذكر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أن من السنة اللازمة التي هي عقيدة وأجمع عليها السلفُ أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفون بها؛ المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى زمن الإمام أحمد؛ وأدرك الإمام من أدركه من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، وأنها السنة التي مات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائليها فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائغ عن منهج السنة وسبيل الحق، أن منها الإيمان بالقدر خيره وشره، قليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومره، ومحبوبه ومكروه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره، وأنه قدرٌ قدره الله عَزَّ وَجَلَّ.

والوقوف فيه عند النصوص هو منهج أهل السنة والجماعة جميعًا، فأهل السنة والجماعة يرون أو الواجب عدم التعمق في القدر؛ بل يُكتفى بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، فالقدر سر الله تعالى، أطلعنا في الكتاب والسنة منه على ما يصلحنا، فالواجب علينا أن نقتصر في باب القدر على ما أطلعنا الله عليه، في كتابه أو في سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا ذُكر القدر فأمسكوا**»، يعني لا تزيدوا على ما في الكتاب والسنة، والحديث رواه الطبراني وصححه الألباني بطرقه.

ولا يقال في قدر الله: لِمَ؟، على سبيل الاعتراض، فإن الله لكمال علمه، وكمال عدله، وكمال حكمته لا يُسأل لِمَ؟ على سبيل الاعتراض، وإنما يُسأل الناس لنقصهم وقصورهم.

مع الإيمان الجازم بأن كل قدر الله عدلٌ، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يظلم الناس شيئًا، والإيمان الجازم بكمال حكمة الله، فقدر الله فيه الحكمة التامة، نعم يا عبد الله، نعم، قد تحب شيئًا ويُقدر الله لك خلافه، فإذا جاء هذا القدر فاعلم أن الحكمة فيما قدره الله، لا فيما أحببته، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكيم عليم، والله

لا يتحرك متحرك في الكون ولا يسكن ساكن في الكون، ولا يقع شيء في الكون، ولا يُمنع شيء عن أهل الكون إلا بحكمة، وفيه الحكمة.

ومن آمن بهذين الأصلين:

١. أن قدر الله عدلٌ كله، وحكمةٌ كله.

٢. مع إيمانه بإحاطة علم الله.

وأن الله علم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كتب ما علم، وأمر القلم بالكتابة في اللوح المحفوظ، وأنه سبحانه شاء كونًا وقوع المقدور المقدر؛ فإنما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن، ولا يقع فيه كون الله إلا ما أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وآمن أن الله خلق العباد وأفعالهم، إذا آمن بهذا وأدرك يقينًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه آمن بالقدر حق الإيمان، وارتاحت نفسه، وأيقن أنه إذا وقت شيء لو اجتمع الإنس والجن والملائكة على أن يردوه ما استطاعوا أن يردوه، وإذا امتنع شيء واجتمع الإنس والجن والملائكة على أن يجلبوه ما استطاعوا أن يجلبوه، هذا هو ما يجب الإيمان في القضاء والقدر.

وأهل السنة يؤمنون بهذا ولا يعارضون أقدار الله بالأسئلة، لِمَ؟ وكيف؟ بخلاف أهل البدع، فإن أهل البدع من شأنهم أن يعارضوا القدر بالأسئلة، لماذا يفعل الله كذا؟ وينفون عن القدر الحكمة، وهم جهلة، مثلاً المعتزلة يقولون: لماذا يعذب الله الأطفال؟ لماذا يتألم الأطفال؟ يعارضون القدر بـ لِمَ؟ ويقولون: هذا ما فيه حكمة، والله إن فيه حكمة عظيمة، من حكمه أن الطفل لولا الألم لما امتنع عما يضره، لولا إحساس الطفل بالألم لما امتنع عما يضره، لولا أنه لو وضع يده على النار لاحترقت لوقع في النار؛ لأن الطفل ما يمكن أن يكون أهله معه دائمًا، لكن لو أنه مرة فقط وضع يده على النار أو قرب يده إلى النار فأحس بالألم لم يهرب من النار مرة أخرى.

لكن أهل البدع لا يقفون عند النصوص ولا يفقهون، ويزعمون أنهم أهل العقل، ويعارضون القدر بالأسئلة، بخلاف أهل السنة والجماعة.

وإذا آمن المؤمن بالقضاء والقدر كما آمن به أهل السنة والجماعة؛ فإنه يطمئن لكل ما يقع، إن أصابته سراء علم أنها من قدر الله، ومن فضل الله فشكر الله عليها، وإن أصابته ضراء علم أنها من قدر الله وأن

فيها حكمة، فصبر عليها؛ لأنه يرجو أن تنجلي عن فائدة عظيمة، وكم من مصيبة حلت تبين بعد فترة أن في حلولها خير.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَمن لم يعرف تَفْسِير الحَدِيث ويبلغه عقله فقد كفي ذَلِك وَأحكم لَهُ فَعَلَيهِ الْإِيمَان بِهِ وَالتَّسْلِيم مثل حَدِيث الصَّادِق المصدوق، وَمثل مَا كَانَ مثله فِي الْقدر، وَمثل أَحَادِيث الرُّؤْيَة كلهَا وَإِن نبت عَن الأسماع واستوحش مِنْهَا المستمع، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْإِيمَان بهَا، وَأَن لَا يرد مِنْهَا حرفا وَاحِد وَغَيرهَا من الْأَحَادِيث المأثورات عَن الثِّقَات.

(الشرح)

هذا أصلٌ ضابط في التعامل مع النصوص، وقد تقدم يا أخوة أن تأويل النصوص وتفسير النصوص له عند أهل السنة والجماعة طريق، وهو الرجوع إلى القرآن، ثم الرجوع إلى السنة، ثم الرجوع إلى أقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

وتعرفون يا أخوة أن العلماء يقولون: إن تأويل النصوص نوعان:

النوع الأول: التأويل بمعنى معرفة الحقيقة، وما يؤول إليه الشيء، وهذا غيبٌ لا يُعلم إلا بإخبار الله، الكيفية، وما يؤول إليه الشيء في الواقع، هذا غيب، لا يعلم إلا بإعلام الله، ويُراد به بيان المعنى، وهذا يُعلم.

والواجب كما تقرر وتكرر الإيمان بالنصوص، وعدم ردها، وعدم صرفها عن معانيها الظاهرة، مع اعتقاد ظاهر معانيها على الوجه اللائق بعد الرجوع إلى الكتاب والسنة وأقاويل الصحابة، فإن ضعف العقل عن إدراك ما فيها، تحير العبد، شك، سمع تشنيع المبتدعة، اليوم يا أخوة المبتدعة وهذا شأن من قبل، لكن اليوم هذا يحدث كثيرًا يشنعون على أهل السنة والجماعة بقولهم ببعض الأحاديث، ويذكرون تشنيعًا عليها، لا يجوز للمسلم إذا سمع تشنيع أهل البدع على حديث أو نحو ذلك أن يتركه ويرده؛ بل الواجب أن يؤمن بما فيه.

فإذا لم يعلم تفسيره من القرآن ولا من السنة ولا من أقاويل الصحابة فعليه أن يرجع إلى كتب أهل السنة، ويبتعد عن كتب أهل البدع، فإن أهل السنة قد كفوه المئونة، قد بحثوا ودللوا وبينوا ووضحوا، ولذلك كُتب أهل السنة علاج للقلوب عند الاشتباه، إذا اشتبه الأمر على الإنسان ووقعت حيرة فعليه

الرجوع إلى الطبيب، الطبيب هنا كتب أهل السنة والجماعة، علاج للقلب عند الاشتباه.

قال أبو يعلى مفسرًا هذه الجملة التي معنا: فقول أحمد: **(وَمن لم يعرف تَفْسِير الحَدِيث ويبلغه عقله فقد كفي ذَلِك وَأحكم لَهُ معناه)** يعني قد كفاه ذلك أهل العلم، وأحكموا له علمه، فدل على التفسير.

إذًا إذا ضعف عقلك أيها المؤمن عن فهم نص في الكتاب والسنة إياك أن ترده، وإياك أن تخوض فيه مع أهل البدع؛ بل ارجع إلى كتب أهل السنة والجماعة، وستجد الجواب الكافي والعلاج الشافي.

ويشير الشيخ هنا إلى أن الصحابة يشيرون إلى هذا الأصل عند روايتهم لبعض الأحاديث، فبعض الأحاديث قد يقصر العقل عن إدراكها، فيُشير الراوي من الصحابة إلى لزوم التسليم بقولهم: حدثنا الصادق المصدوق. حدثنا الصادق الذي لا يكذب، المصدوق الذي صدقه ربه، ويُصدقه المؤمنون، وما دام أن الذي حدث هو الصادق المصدوق، كيف يُرد؟ كيف يُشك فيه؟!!

ومن ذلك ما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«حدثنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق؛ قال: إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب علمه، ورزقه، وأجله، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتىٰ ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتىٰ ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة»**، متفق عليه.

والشاهد أن ابن مسعود قدم بهذه المقدمة **«حدثنا الصادق المصدوق»**، وما دام أن الذي يُحدث هو الصادق المصدوق فيجب الإيمان، ويجب التسليم.

(المتن)

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَأَن لَا يُخَاصم أحدًا وَلَا يناظره وَلَا يتَعَلَّم الْجِدَال فَإِن الْكَلَام فِي الْقدر والرؤية وَالْقُرْآن وَغَيرهَا من السّنَن مَكْرُوه ومنهي عَنهُ، لَا يكون صَاحبه وَإِن أَصَاب بِكَلَامِهِ السّنة من أهل السّنة حَتَّىٰ يدع الْجِدَال ويؤمن بالآثار.

(الشرح)

قلت لكم: إنكم سترون أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ يكرر هذا الأصل لعظم أثره، وقد تقدم الكلام عن

أصل أهل السنة في ترك الخصومات في الدين، وترك مخاصمة أهل الأهواء، والمقصود هنا: أن يكون المؤمن وقافًا عند النصوص، عند نصوص الكتاب والسنة بفهم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألا يخاصم أهل الأهواء بطرقهم، وإنما زاده وسلاحه الكتاب والسنة بفهم الصحابة رضوان الله عليهم، والشيخ هنا يذكر أمرًا مهمًا يا أخوة، أن الرجل من أهل السنة لابد من أن يوافقهم في قولهم وفي طريقهم، أما أن يوافقهم في قولهم ويسلك طريقًا غير طريقهم فإنه ليس من أهل السنة.

يعني يا أخوة: لو أن شخصًا يقول ما يقوله أهل السنة، ما تلاحظ في كلامه خلافًا لكلام أهل السنة، لكن إذا فتشت عن طريقه وجدت أن طريقه غير طريق أهل السنة، وجدت أنه يخاصم في الدين، ويخاصم أهل الأهواء، ويدعو الناس إلى العقل، ويعظم العقل، ويجعله حاكمًا على النصوص؛ فإنه ليس من أهل السنة، وإن قال بقول أهل السنة.

إذًا لابد أن ننتبه إلى هذه القضية:

الرجل من أهل السنة لابد من أن يوافق أهل السنة في أصولهم، وعقيدتهم، وطريقتهم، فإن زعم أنه من أهل السنة لكن وُجِد أنه لا يسير على طريق أهل السنة فليس من أهل السنة، وهذا أمرٌ من الأهمية بمكان.

لعلنا نقف عند هذه النقطة لأن عندي صلاة المغرب في قباء الليلة، وغدًا إن شاء الله نكمل الباقي حتى لو وصلنا إلى أذان المغرب إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ بارك الله فيكم، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبل مني ومنكم.

غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ يا أخوة قد نطيل إلى أذان المغرب إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، فوطنوا أنفسكم، واستعدوا للصبر، والعلم ثقيل، لكن مآله جميل، حسن، وكلما حسن الشيء صعب طريقه، فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلنا من الصابرين المثابرين المرابطين، وأن ينفعنا بالعلم ونجعل الأسئلة غدًا إِنْ شَاءَ اللهُ.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.